

فقه اللغة

- قال الجاحظ :

للعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم كما جوَّزوا قوله : أكله الأسود وإنَّما يذهبون إلى الذَّهَبِ والشَّرِّ واللذع والعضِّ وأكل المال وإنَّما يذهبون إلى الإفناء كما قال ابن عَرَبٍ وجلَّ : " إنَّ الذين يَأْكُلُونَ أموالَ البِيتَامَى طُلُمًا " إنَّما يَأْكُلُونَ في بَطُونِهِمْ نارًا وسيَصَلُونَ سَعِيرًا .

ولعلَّهم شربوا بتلك الأموال الأنبيذة ولبسوا الحلل وركبوا الهماليج ولم ينفقوا منها درهما في سبيل إلا إنما أُكِلَ .

وجوَّزوا : أَكَلَتْهُ النَّارُ وإنَّما أُبْطِلت عينه .

وجوَّزوا أيضًا أن يقولوا : ذُقْتَ لما ليس يُطعم وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده : ذُقْ وكيف ذقته ؟ أي وجدت طعمه . قال ابن عَرَبٍ وجلَّ : " ذُقْ إنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ

الكَرِيمُ " وقال عَرَبٌ من قائل : " فأذاقها لِبِاسِ الجُوعِ والخَوْفِ بما كانوا يَصْنَعُونَ " وقال تعالى : " فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ " . ثم قالوا : طَاعِمْتَ لغير الطعام كما قال المَرَجِيُّ :

فإن شئتُ حَرَّمْتُ النساءِ سِوَاكُمُ ... وإن شئتُ لم أطفَعَمَ نُفُخًا ولا يَرْدًا .
قال ابن عَرَبٍ : " فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ومن لم يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي " يريد : ومن لم يذوق طعمه . ولما قال خالد بن عبد الله في هزيمة له : أطفَعَمُونِي ماء قال الشاعر :

بَلَّ السَّراويلَ مِن خَوْفٍ وَمِنْ دَهَشٍ ... واستَطْعَمَ الماءَ لما جَدَّ في الهَرَبِ .

فبلغ ذلك الحجاج فقال : ما أيسر ما تَعَلَّقَ فيه يا ابن أخي أليس ابن عَرَبٍ يقول : فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ومن لم يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي .

قال الجاحظ : في قوله تعالى : " إنَّ " لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعِوضَةٌ فما فوقها " يريد فما دونها وهو كقول القائل : فلان أسفل الناس فتقول : وفوق ذلك تضع قولك (فوق) مكان قولهم : هو شرُّ من ذلك . وقال الفَرَّاءُ : فما فوقها في الصَّغَرِ وإنا أعلم .

قال المُبرِدُ : من الآيات التي ربما يَغْلَطُ في مجازها النحويون قول ابن عَرَبٍ : " فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلَيْسَ مِنْهُ " والشهر لا يغيب عن أحد . ومجاز الآية :

فمن كان منكم شاهد بلدة في الشهرَ فليصمه والتقدير : فمن كان شاهدا في شهر رمضان
فليصمه ونصب (الشهرَ) للظرف لا نصب المفعول